وأبحر باتجاه الفكرة العليا. وأبو عمر. وأبو الوفا الذي قذف البحر جثته، كأنما يبعث إلينا برسالة أخيرة.

من يوميات حامل الوثيقة إلى يوميات حامل الرشاش. مسافة خاطفة كوميض البرق، مسافة شاسعة كأنها المستحيل. هذه هي مسيرة ثورتنا الموعودة بالنصر.

٧ - طريقنا إلى الانتصار

من قنبلة قديمة بلا صاعق، وبندقية أكلها الصدأ، وعبوة في وعاء من الصفيح إلى صناعة الأسلحة والقذائف... هذا هو طريقنا الذي قطعناه بالألم والدماء.

من حديث خافت الصوت في مغارة معزولة، إلى خطبة تنقلها اذاعات العالم من فوق منبر الأمم المتحدة... هذا هو طريقنا الذي قطعناه بالعطاء المتواصل.

من أشبال صغار، إلى خريجين من أهم الاكاديميات العسكرية في العالم... هذا طريقنا الذي قطعناه بالتعب المتواصل طيلة الأيام.

وأبعاد متعددة نراها اليوم للحضور الفلسطيني، حضور في معركة عسكرية، وفي انتفاضة شعبية، وفي عملية انتحارية، وفي مساعدة ثورية نقدمها للآخرين، وفي أطر تحتوي كل الشعب هم عمال وطلاب وفلاحون وأشبال وزهرات ومعلمون ومهندسون وأطباء ونساء وحقوقيون وفنانون وكتاب وصحفيون ومؤسسات كبرى للعمل والطب والعلاج ورعاية أسرنا والتعليم... هذا هو طريقنا الذي قطعناه بالجهد والمعاناة.

ويقول أحد المحاربين القدامى في فتح: «عندما ينتهي الطعام الذي تحمله الدورية... كنا نلتجىء إلى أي بيت من بيوت القرى التي نمر بها.

« - يا عم.. هل نجد عندك كسرة خبز؟

« - من أنتم؟

« - نحن رعاة تأخر بنا الوقت.

«يحضر لنا أهل ذلك البيت طعاماً... لا يقولون شيئاً... ولكن في عيون بعضهم كان يلمع بريق الفرح... لقد عرفونا... عرفوا اننا فدائيون».

وتلك الطرق الجبلية الضيقة من عرفة إلى جبل الشيخ، إلى شبعا والهبارية وكفرشوبا وكفر حمام وكل تعاريج العرقوب كانت تبشر بقدوم الفدائيين... كانت طرقاً ضيقة مهملة. وهي اليوم، رغم المعاناة وسقوط القذائف واشتعال النيران، أشهر طرق في العالم... انها طرق الفدائيين.

وتلك المخاضات على نهر الأردن، والمسارب إلى وادي الرقاد في الجولان، والأودية في جنوب لبنان، حملت ذات يوم دفء الحلم الأول. حين جاء الفدائيون... فكرة تمشي على قدمين! حلماً يتحرك! رغبة كامنة في وجدان الأمة تتحقق الآن.